الكماهو

(حجرة معيشة أثاثها مرتب ورتيـ ب، الزوجـ ـة تحيك الكثير من الجوارب الممزقة، الزوج يجلس فـ ـي الأركان بين كومة من الجرائد اليومية.. مدخل علـ ـى اليمين يؤدي إلى المطبخ.. ونافذة في صدر المسـ ـرح مغطاة بستارة غامقة اللون، لا يوجد باب للخروج.)

الزوج: (يسقط من يده الجريدة في ضجر)

طالع اليوم نحس

اسمعي برج الميزان

أنت تعرفين بالطبع أنني من مواليد

هذا البرج.. برج الميزان

برج معتدل ورزين

برج العدل

يقولون هذا ولابد أن أصدق

بالطبع أعرف نفسي أكثر مما يستطيع

الآخرون حسم هذا الأمر

ماذا يقول البرج؟

اسمعي

أحد الأحباء سيموت اليوم وحيدا

من تظنينه؟

الزوجة: (تهز كتفيها علامة عدم الدراية)

الزوج: هل هناك أحد من أحبائنا

مريض أو قعيد الفراش؟

من تظنينه؟

(يتحرك في المكان وهو يعبث في شعره)

من تظنينه الذي سيفعلها اليوم؟

ربما يكون أحد أحبائنا مريضا

أو طريح الفراش

ربما.. لكن من؟

تذكري.. ألا تستطيعين التذكر؟

أكان واحدًا قابلناه على الشاطئ يوما

وأسدى لنا معروفا.. ونسينا وجهه؟

أكان هو الرجل المغطى بالذباب

حتى أخمص قدميه ولم نعره اهتماما؟

الزوجة: (تنظر له طويلا في صمت وتهز رأسها نافية)

الزوج: أبي قد مات منذ زمن سحيق.

الزوج: ولم يكن حبيبا.

كما أن أمي كانت معه

معه أيضا.. هو إذن ليس وحيدا.

ولم يمت أبدا هذه الميتة العبثية.

جميعهم ماتوا دون أن يتركوا أي ميراث.

يستطيع الإنسان اعتباره حبيبا.

لا أخ ولا أخت ولا ميراث عيني.

من إذن؟

هه.. من؟

إذن من يكون؟

من أحبائك أنت؟

لا.. لا بالطبع.

الأمر لا يخصك بتاتًا.

لأنه ليس برجك أنت.

أنت لست من مواليد هذا البرج.

لست من مواليد برج الميزان.

(فجأة في غضب)

لأنك لا تعرفين العدل على أي نحو.

(يصرخ فيها) من أي برج أنت؟

الزوجة: (تبتسم ابتسامة باهتة ثم تشيح بوجهها)

الزوج: **(في حنق)** من أي برج؟

من مواليد أي برج للقمامة أنت؟

هه؟.. سامعة؟

ماذا تفعلين؟

أنا لا أخرج أبدًا لكي تعيدي

حياكة جواربي كل يوم.

لماذا تعيدين حياكة الجوارب

ما دمنا لا نطلع عليها أحدا؟

ما دمنا لا نستطيع الخروج؟

سامعة؟

الزوجة: (تهز رأسها بالإيجاب)

الزوج: لم يعد هناك أحد يهمني كثيرًا

لكي يقول هذا البرج هذا الكلام

من يكتب هذا الكلام؟

من يستطيع التخمين جيدا بأن أحدا

سيموت اليوم ومن أحبائي؟

من يعرف أحبائي أكثر مما أعرفهم أنا؟

ليس لنا أحباء لأن ليس لنا حياة.

(صمت)

الزوج: لا بد من معاملة هذا الركن من الجريدة

على أنه كلام جرائد

كلام جرائد لا يخلو من السخف

لا يخلو من الإسفاف والسخف والابتذال المحض

لماذا يجب عليهم أن يزرعوا في قلوبنا التوجس؟
والتوجس على هذا النحو
يزرع في قلوبنا البغضاء.
أشعر بالقرف تجاه من يكتب
هذا الباب من الجريدة
لماذا يكتبونه؟ ما فائدته؟
إننا لا نخرج.. ولا نستطيع الخروج
لأن أفعالنا قد فقدت محتواها الحقيقي
لأن ليس لدينا ما نفعله
لو أننا خرجنا حتى آخر العالم.
حتى لو خرجنا ولو حدث هذا
إلى أين نذهب هه؟.. إلى أين؟
إلى أين يستطيع المرء أن يذهب
ما دامت جميع ارتباطات العالم
قد فضت علاقتها به.
أنت أيضا لا تخرجين.

لماذا لا تخرجين؟
نعم.. لأنه لم يعد لدينا أحباء
نحاول الخروج من أجلهم
لقد شاخت قلوبنا إلى حد كبير.
وافترس الهذيان أعضاءنا تماما
فلا نستطيع سوى أن نُدَلِّيَ
السلة خارج النافذة
وننادي بائع الفاكهة والخضراوات
كل بائعي الفاكهة والخضراوات
هم يُحضرون لنا ما نطلب وما يرضي نهمنا.
لأننا نعطيهم ما يطلبون وما يرضي نهمهم
ومع هذا ليسوا أحباء
ألأنهم يضعون فقط ما نحتاج إليه من أشياء
في السلة المدلاة من النافذة
يجب أن نعاملهم معاملة الأحباء؟
أو يعاملونا معاملة المحبين؟

ونتوجس من أجلهم؟

ونحمل هم من يموت ومن يعيش منهم؟

هراء.. طبعا هراء.

افرغي من الحياكة إذن.

ودعينا نبحث في الذاكرة عن أحباء

نكون قد نسيناهم.

أو ذهبوا بعيدا ثم ماتوا في الغربة

الغربة؟ أية غربة؟

اسمعي.. هل يعتبر البلد المجاور غربة.

لمجرد أن هناك بعض الأسلاك الشائكة والحرس؟

حرس الحدود على مرمى البصر.

هل بوسعهم أن يشعرونا أن الآخرين

في غربة؟

هل بوسعهم أن يشعروا الآخرين

أننا في غربة؟

الغربة هنا.. مزروعة في عروقنا كصبار الصحارى

جذورها قد امتدت في صخر أجسادنا ونتوئها.

هل يمكن تصور ذلك؟

هل تتصورين ذلك على أي نحو؟

ما الذي يحدث الآن إذن؟

ما الذي يجعل هذا الشعور بالمرارة يطغي على كل شيء

وكل قلب؟

هل يمكن تصور ذلك؟

من يكون إذن ذلك الحبيب الذي

يمكث هناك وراء الأسلاك الشائكة وخلف حرس الحدود؟

من ذلك الحبيب القابع هناك.

والذي باستطاعتنا أن..

(يمزق فجأة الجريدة.. إنها جريدة أخرى ملقاة)

اسمعي..

الزوجة: (تنظر له برهة)

الزوج: يجب أن تنهيني عن قراءة هذا الباب

هذا الباب من الجريدة الصباحية

هذه الجريدة الممزقة بالذات.

الجريدة النحس.

قولي لي لا تقرأ اليوم باب الحظ

ودعينا نطلق عليه سويا اسما يليق

(ينتظر إجابة)

باب الحظ السيئ

أو دعينا من الأفضل أن نمحوه من الذاكرة تماما

من الذاكرة ومن الجريدة أيضا

نمحوه من عقلنا الباطن

من اللاشعور

نعتبره كأن لم يكن أبدا

(صمت)

باب الحظ السيئ الذي يأتي.

بأخبار سيئة لا معنى لها.

سوى أنها كلمات شخص خَرِفٍ

لا يتقن فعلا ولا يستطيع

لكنها تبعث على التوجس والقلق

وتحمل إرهاصات مصيبة جديدة
تافهة أو عظيمة لا فرق
سامعة؟
انهيني حال اتجاهي لهذا الباب من الجريدة
هه؟ لكن كيف تستطيعين ذلك؟
والجوارب الممزقة لا تفرغ من البيت أبدا
أنا أعرف جيدا ما تفعلينه حتى تستمتعي
بهذه اللعبة السخيفة الماجنة
أنت تمزقين كل الجوارب كل يوم
كي تعيدي حياكتها مرة أخرى كل يوم
تعيدين حياكتها دائما دون أن...
يطرأ أي تغير على هذه الآلية المخيفة
لكن لفرط الدهشة لا تملين أبدا
أنت لا تستطيعين حتى الملل أبدا

الزوجة: (تخض رأسها في حزن مصطنع)

الزوج: (يلتقط نفس الجريدة على أنها جريدة أخرى يقلبها

وينظر فيها طويلا، تمر فترة صمت قلقة)

اسمعي.. أنا الآن قاب صفحتين أو أدنى

من باب الحظ.. نبهيني.

يجب أن تنبهيني إذا ما كان قلبك يحوي

أي نوع من الشفقة نحوي ألا اقترب

من الباب وقبل أن يتجه نظري إلى هناك

تعالي.. اخلعي نظارتي كي يتسنى لي ألا أراه

ألا أرى حظي التعس بعيني.

ألا تسمعين؟ أنت.. ألا تسمعين نحيبي؟

أيتها المرأة التي لا ترأف بي أبدا

لا تتركيني للسقوط في هذه الهوة السحيقة.

الزوجة: **(تنظر نحوه في تساؤل)**

الزوج: تعالي وارفعي النظارة من على عيني.

إن فقد البصر في هذه الآونة أجدى

يطمئننا كثيرا على أنفسنا وأشيائنا

الزوجة: **(تذهب ويداها مكدستان بالجوارب وتخلع**

نظارته)

الزوج: (في غضب حاد) أف.. ما هذا؟

الجوارب متسخة وعفنة.

متسخة وكريهة إلى حد مخيف

وباعث على القيء **(يتقيأ)**

الزوجة: (تعدو للداخل وتحضر منشفة، وتمسح السجادة ثم تدخل الحمام مرة أخرى)

الزوج: رغم أننا لم نعد نستعملها

منذ زمن بعيد.. جدا.

زمن يربو على القرنين.

(صمت)

الزوجة: (تعود إلى مقعدها)

الزوج: (في غضب وثورة)

لماذا لا تنظفين الجوارب ثم تحيكينها؟

أعيدي الحياكة فقط بعد التنظيف لا قبله

أنت لا تنظفينها على الإطلاق

(يتقيأ مرة أخرى)

الزوجة: (ترفع الجوارب أمامه جميعها)

الزوج: لا تحاولي اتهامي بالعمى

لا تحاولي ذلك..

على العموم لقد تخطيت الآن مرحلة صعبة

مرحلة من الصعوبة حيث إنني لا..

لا أستطيع التعبير عنها لأنني..

(يطوح الجرائد بعيدا بقدمه، صمت بعد برهة

يصفر في صفاء)

نادي على بائع الفاكهة واسأليه

عما لديه اليوم لنا.

لقد أحضر ساعي البريد مرتبنا الشهري

المعاش.

اسأليه عما لديه لنا.

لقد اعتدنا كل حين

أن نأكل البشائر الأولى

من الفاكهة في كل موسم جديد

موسم أي فاكهة هذا؟

ألا تعرفين بتاتا؟

نقترب من الصيف مثلا؟

أم نقترب من الخريف؟

هل تشعرين بالبرد؟

هو البرتقال إذن.

فاكهة لا تتسق وبرودة الطقس أبدا.

أشعر بالبرد حين يتسلل ماؤه إلى أمعائي

ويغرق يدي باللزوجة والبرد.

ما يضطرني لغسلهما تحت صنبور الثلج.

إنني أكره الشتاء.

فليكن ربيعا ما نحسه الآن.

(صمت)

لا بد أن نقيم اليوم مأدبة عشاء لاثنين

لاثنين وحيدين لا ثالث لهما..

سوى ذلك الحائط الصخري السميك الشرس

(صمت)

نقيم احتفالا؟

احتفالا لأي مناسبة؟

لأي مناسبة مثلا؟

علينا أن نخترع مناسبة جميلة

علينا أن نخترع مناسبة بهيجة

ما دمنا قد نسينا جميع احتفالاتنا

وتواريخها القديمة

ما دمنا لم نعد نذكر تواريخ الميلاد

أو تاريخ زواجنا الغريب.

أو تاريخ أول قبلة على الخد بيننا

اسمعي .. افعلي ما قلته لك.

أعدي عشاء لاثنين وحيدين

بين الجدب والسكون المميت

مأدبة عشاء لشيخوخة القلب التعب

الزوجة: (تقذف ما بيديها من جوارب وتتحرك حانقة للمطبخ، يمر صمت طويل)

الزوج: (وحيدا) هل صار يهمنا فعلا من يموت

ومن يعيش؟

هل الموت نفسه قادر على إيقاظ نخوتنا إلى هذا الحد؟

لا.. لا أعتقد ذلك.

إنه الموت الآخر الأكثر عنفا وغرابة

(صمت)

الزوجة: (تطل برأسها من باب المطبخ)

الزوج: (بغيظ) من ذلك الوغد الذي سيموت وحيدا؟

ومن سوف يخبرنا إذا ما مات؟

من أين سيأتي الخبر الرهيب؟

عبر هذه الجرائد أم عبر جرائد أخرى؟

إذا ما حاولنا تفادي الأخبار القذرة كلها

فما علينا ألا أن نتفادى قراءة هذه الصحف

القذرة كلها.

نعم يجب هذا.

يجب أن نفعل شيئا واحدا حقيقيا ومتسقا.

(يمزق بعض الجرائد)

الزوجة: (تعد منضدة مستطيلة كالتابوت وتفرشها بمفرش أبيض)

الزوج: لا يجب أن نشتري من الآن فصاعدا

أي جرائد أخرى جديدة

نمتنع عن تعاطيها تماما.. تماما.

لماذا نقرأ الأخبار

ما دمنا عاجزين عن الخروج؟

نعم.. ما دمنا عاجزين عن إرادة الخروج

وبالتالي عن التأثير في مجرى الأمور هنا أو هناك

ما جدوى المعرفة المهترئة البغيضة

والتي لا تمنحنا قدرا من الهدوء والسكينة

نستطيع معه مواصلة ال...

الزوجة: (تنظر له نظرة ساخرة)

الزوج: نعم عندك حق.. نعم

نفس ما جال بخاطرك يجول بخاطري الآن

حتى لو كنا نستطيع الخروج

هل كان سيبقى لخروجنا معنى؟

هل كان سيبقى لصراخنا أي تأثير على الأحداث؟

بالقطع لا.. بالقطع لا..

إن البلادة لم تصبنا وحدنا يا عزيزتي

لا يجب أن نفكر في الأمور على هذا النحو من

الجدية

لن نقرأ الجرائد والسلام

(يتجه نحو النافذة ويدلي رأسه وبصوت غاضب)

لا تبعثوا لنا أيها الناس

بجرائدكم الصباحية ولا المسائية

لن نقرأ جرائدكم جميعا ما دمنا هنا.

(بغضب) لن أسمح لك أيضا بقراءة الأخبار
ما دمت عاجزة عن التأثير في مجراها
يجب أن نظل في حالنا.. نعم في حالنا
حتى نموت ورءوسنا ملتصقة بالأعناق
والأعناق مشدودة إلى الأكتاف ومرفوعة
حتى لو كنا من الداخل مهشمين.
نخبئ شرخا كبيرا وخيبة عظيمة
مزقي الجرائد إذن.
ولنقتصر على التفكير في همومنا وهموم أنفسنا
أو باستطاعتنا احتقارها أيضا.
غطى بها منضدة الطعام
وأسقطي فوقها ما شئت من الطبيخ
لا يجب أن نعامل الجرائد باحترام
فنحن لا نعامل أنفسنا أصلا باحترام
ما دمنا مصرين على..
هه ماذا يجول بخاطرك أيضا؟

لقد تكلمتُ بما فيه الكفاية

إذن حان دورك.. تكلمي بما فيه الكفاية

فمك غير مكمم.

الزوجة: (تحضر الأطباق الواحد تلو الآخر)

الزوج: حان دورك الآن لكي..

(صمت طويل)

الزوجة: (تكون قد أحضرت جميع الأطباق وتبدأ في التناول)

الزوج: (ينظر للطعام في تقزز واضح).

هل تظنين أنه بإمكاني أن أمد يدي للطعام بعد الآن؟

نفسي قد عافت الأشياء جميعها.. لا فائدة

إذن لا فائدة لأي شيء، ما دمنا مشبوحين على صليب عجزنا.

ما دمنا قانعين بهذا الموات المستحيل

ما دمنا نقول شيئا ونفعل شيئا آخر.

ما دمنا غير قادرين على المواجهة العنيفة

التي تحرك هذا الركود العنيف.

وما دام العالم غارقا في العفن القاتل للغد

والناس بهذه الأنفس الشريرة

الزوجة: (تنظر له وهي تأكل في تراخ)

الزوج: (فجأة) ما رأيك بإشعال حريق هائل

حريق يفوق الوصف.. كبير

كبير ويفوق الوصف. ويهز أركان العالم

الزوجة: (تنظر ساخرة وسرعان ما تضحك في هيستريا تكسر معها الأطباق وتسقط الطعام)

الزوج: (في برود شديد) نعم لا شيء يهز أركان العالم

ذلك لا لشيء.

إلا لأن العالم نفسه مهدم الأركان

العالم سيئ... سيئ على نحو بشع

ونحن لا نستطيع الإقدام على شيء

ونجبن عن أن نموت فداء أحبائنا

أو يموت أحباؤنا فداء عنا.

الزوجة: (تلملم الأطباق الواحد تلو الآخر وتغيب)

الزوج: نعم عندك حق.. عندك حق.

هل تذكرين قديما؟.. كل شيء كما هو

لأن الكماهو لا يطرأ عليه شيء

أنت كما أنت.

أنا كما أنا.

هو كما هو.

والكماهو لا ينتهي

ويظل هكذا أبدا.. كما هو.

(تنسحب الإضاءة ببطء حتى الإظلام).